

بحث مادة علوم الحديث (١)

"جهود العلماء في مقاومة الوضع"

إعداد

أحمد محمد بوقرين - ماجستير أصول دين -

بالجامعة الأمريكية المفتوحة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله الذي أنزل القرآن وتكفل بحفظه ورعايته فقال تعالى : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [١] والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد سيد الأولين والآخرين، أرسله ليبلغ الناس هذا الذكر ويبينه للعالمين، فقال سبحانه وتعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} [٢] فكان حفظ القرآن يتضمن حفظ سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وحمايتها من كيد الوضاعين الكاذبين.

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك و من الأمل إلا فيك و من التسليم إلا لك و من التفويض إلا إليك و من التوكل إلا عليك و من الرضا إلا عنك و من الطلب إلا منك و من الذل إلا في طاعتك و من الصبر إلا على بابك و من الرجاء إلا في يديك الكريمتين و من الرهبة إلا بجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك و اتصل خيرك و كمل عطاؤك و عمت فواضلك و تمت نوافلك و بر قسمك و صدق وعدك و حق على أعدائك وعيدك و لم يبق لي حاجة من حوائج الدنيا هي لك فيها رضا و لي فيها صلاح إلا قضيتها و أعنتني على قضائها يا أرحم الراحمين.

وبعد :

فهذا بحثي الفصلي لمادة علوم الحديث ، والذي أتناول فيه موضوع " جهود العلماء في مقاومة الوضع " ، حيث قسمت البحث إلى بايين ، الباب الأول يتناول التعريف بالحديث الموضوع، وعن عبارات العلماء في التعريف به ، وعن مصادر الحديث الموضوع ، وعن عقوبة الوضع في الحديث ، وعن توبة الوضاعين ، وعن حكم رواية الحديث الموضوع ، وعن أسباب الوضع في الحديث النبوي الشريف ، وعن حكم العمل بالحديث الموضوع،

ثم الباب الثاني وقد تحدث فيه عن جهود العلماء في مقاومة الوضع ، وقد قسمت هذا الباب إلى خمسة فصول، الفصل الأول يتحدث عن جمع الأحاديث الثابتة ، والفصل الثاني يتحدث عن الاهتمام بالإسناد ، والفصل الثالث يتحدث عن مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث ، والفصل الرابع يتحدث عن نقد الرواة وتتبع كذب الوضاعين، والفصل الخامس يتحدث عن التأليف في الوضاعين، والفصل السادس يتحدث عن التأليف في الموضوعات، ثم ختمت بأهم ما تم التوصل إليه من خلال هذا البحث، ونسأل الله التوفيق والتيسير في هذا العمل، وأحب أن أنوه هنا أنني استفدت كثيرا في بحثي هذا مما كتبه الدكتور عبد الله بن ناصر الشقاري الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالرياض في بحثه الذي سماه " الآثار السيئة للوضع في الحديث النبوي وجهود العلماء في مقاومته "

الباب الأول :

مباحث تتعلق بالحديث الموضوع

الحديث الضعيف لغة واصطلاحاً :

أ- لغة : اسم مفعول من وضع الشيء يضعه - بالفتح - وضعاً، وتأتي مادة (وضع) في اللغة لمعاني عدة منها: الإسقاط، الترك، الافتراء والإلصاق [٣].

ب- أما في اصطلاح المحدثين: فقد عرفه ابن الصلاح بقوله : هو المختلق المصنوع [٤]، وعرفه غيره بأنه هو : ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يقره [٥].

التعريف بالحديث الموضوع :

الموضوع شر الحديث الضعيف جملة وتفصيلاً ، وقد جعله العلماء آخر درجات الحديث الضعيف، وإنما جعلوه من درجاته لأجل التقسيم المعرفي وبحسب إدعاء واضعه، وإلا فهو ليس من أنواع الحديث أصلاً.

عبارات العلماء في التعريف بالحديث الموضوع والإشارة إليه :

- ١- التصريح بوضعه فيقولون : موضوع، باطل، كذب.
- ٢- قولهم في الحديث : لا أصل له، لا أصل له بهذا اللفظ، ليس له أصل.
- ٣- قولهم في الحديث : لا يصح، لا يثبت، لم يصح في هذا الباب شيء.

مصادر الحديث الموضوع :

أ - قد يخترعه الواضع من نفسه ابتداءً، وينسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعرف ذلك : إما بإقراره أو ما يتزل منزلة الإقرار : كأن يدعو الحديث إلى مبدأ يدعو إليه الواضع، أو تدل على ذلك قرائن الأحوال.

ب- قد يأخذ الواضع كلام غيره فينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون الموضوع إما من كلام الصحابة أو من كلام التابعين أو بعض قدماء الحكماء.. ونحو ذلك [٦].

ج- قد يهمل الراوي فينسب كلام الغير إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن غير قصد وتعمد للوضع مثل "ومن كثرت صلاته في الليل حسن وجهه في النهار" [٧]، ولذا عده بعضهم في حكم المدرج [٨].

حكم الوضع في الحديث النبوي وعقوبة الواضعين في الآخرة :

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم : "وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي والكذب عليه كذب على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [٩] " [١٠].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حكم وضعه، وتوعد بالعقاب الشديد والعذاب الأليم لمن فعل ذلك، حيث قال صلى الله عليه وسلم : "حدثوا عني ولا حرج، بلغوا عني ولو آية، إن كذباً علي ليس ككذب على أحد ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" [١١] وقد حكي عن بعض الحفاظ أنه قال: "لا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة المبشرون بالجنة إلا هذا، ولا حديث يروى عن أكثر من ستين صحابياً إلا هذا" [١٢].

عقوبة من روى الحديث الموضوع في الدنيا :

أما عقوبة من روى الحديث الموضوع في الدنيا فقد أجاب ابن حجر الهيتمي المكي على سؤال ورد إليه ونصه كالتالي : لنا إمام يروي أحاديث لا يبين مخرجها ولا رواها فما الذي يجب عليه؟ فأجاب: " من فعله وهو ليس من أهل المعرفة بالحديث، ولم ينقلها عن عالم بذلك، فلا يحل له ومن فعله عزر عليه التعزيز الشديد.. ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه " هذا فيمن روى حديثاً مجهول الحال فضلاً عن أن يكون موضوعاً، أما عن الموضوع بالذات : فقد كتب البخاري على ظهر كتاب ورده فيه سؤال عن حديث مرفوع وهو موضوع، فكتب "من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس الطويل" .

توبة الواضع وحكم روايته بعدها :

لا خلاف بين العلماء أن توبة الواضع مقبولة، فمن تاب تاب الله عليه {ومن تاب وامن وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا} [١٣] ولكن مع قبول توبته هل تقبل روايته أم لا ؟ يرى الإمام أحمد وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وغيرهم أنه لا تقبل روايته أبداً، قال أبو بكر الصيرفي : "كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهـر" [١٤]، واختار النووي القطع بصحة توبته وقبول روايته كشهادته، وحاله كحال الكافر إذا أسلم [١٥] .

حكم رواية الحديث الموضوع :

اتفق العلماء على تحريم رواية الحديث الموضوع، فلا تحل روايته لأحد علم حاله وعرف أنه موضوع، إلا مبيناً حاله ومصرحاً بأنه موضوع، يقول الإمام مسلم :

"إن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه.. وأن يتقي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع، والدليل على أن الذي قلناه هو اللازم دون غيره، قول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } [١٦] وقوله: { ممن ترضون من الشهداء } [١٧] فدل بما ذكر من الآيتين أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة " [١٨].

أما من السنة فها هو صلى الله عليه وسلم يصرح بذلك في حديثه المشهور : "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين" [١٩]، وكفى بهذا الوعيد الشديد في حق من روى حديثاً يظن أنه كذب، فضلاً عن أن يروي ما يعلم كذبه ولا يبينه.

ولاشك أن من روى حديثاً موضوعاً فلا يخلو من أحد أمور ثلاثة : إما أن يجهل أنه موضوع، وإما أن يعلم بوضعه بواحد من طرق العلم به، وهذا إما أن يقرن مع روايته تبيان حاله، وإما أن يرويه من غير بيان لها.

فأما الأول: وهو من يجهل أنه موضوع، فلا إثم عليه إن شاء الله [٢٠]، وإن كنا نعتقد أنه مقصر في البحث عنه، لكن لا يؤمن عليه العقاب في تركه البحث عن حال ما يحدث به، لاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إنمياً أن يحدث بكل ما سمع" [٢١].

وأما الثاني: وهو من يعلم وضعه ويبين حاله فلا شيء عليه، إذ قد أمن ما كان يخشى منه وهو علوقه في الأذهان منسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أما إذا كانت روايته له قاصداً بها إبانة حاله، فهذا مأجور لنفيه الدخيل عن الحديث الشريف وتنبية الناس عليه، فهو من عدول خلف الأمة ومن خيارها الذين امتازوا

عمن سواهم بأنهم ينفون عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وأما الثالث: وهو من رواه من غير بيان لحاله مع علمه بأنه موضوع فهو مأزور وآثم، سواء ذكر إسناد الموضوع أم لا، إذ لا يكتفى بإيراد الإسناد في هذا الزمان، بل لابد من التصريح بأنه موضوع وكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر الإسناد وعدمه سواء، يقول السخاوي: "ولا تبرأ العهدة في هذه الأعصار بالاقتصار على إيراد إسناده - أي الموضوع - لعدم الأمن من المحذور به، وإن كان صنعة أكثر المحدثين في الأعصار الماضية" [٢٢] وهذا في عصر السخاوي في القرن التاسع فما بالك بعصرنا الحاضر؟! فقد كانت طريقة الاكتفاء بالإسناد معروفة لدى القدماء، لأن علماء عصرهم يعرفون الإسناد، فتبرأ ذمتهم من العهدة بذكر السند، أما عصرنا هذا فقد سرت العدوى فيه من إضاعة الإسناد إلى إضاعة المتن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حكم العمل بالحديث الموضوع :

العمل بالحديث الموضوع حرام بالإجماع، لأنه ابتداء في الدين بما لم يأذن به الله، يقول صلى الله عليه وسلم: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" [٢٣] ويقول: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [٢٤] هذا في الأمور الدينية التعبدية، أما في الأمور الدنيوية: فالعمل به على أنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم حرام أيضاً، أما على غير ذلك فحكمه يختلف باختلاف تلك الأعمال، وتنطبق عليه الأحكام الشرعية والقواعد المرعية.

أسباب الوضع في الحديث النبوي :

١ - الخلافات السياسية ، وقد كانت الشرارة الأولى لهذه الخلافات بعد مقتل عثمان [25] رضي الله عنه ثم انتشرت الخلافات السياسية ، وانتشر معها الكذب نُصرة لطائفة أو خليفة ونحو ذلك .

٢ - الخلافات المذهبية ، فقد أدّت الخلافات المذهبية إلى وضع الأحاديث ، حتى أن رجلاً كان من أهل الأهواء ثم تاب فقال : كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً. [26]

٣ - الزندقة والطعن في الإسلام ، فقد أدرك الزنادقة وأعداء الإسلام أن قوة الإسلام لا تُقاوم ، فلجئوا إلى وضع الأحاديث التي تُنفّر الناس من الإسلام ، وتُشكك المسلمين بدينهم .

٤ - القصص والوعظ ، فقد كان لديهم حرصاً شديداً على ترغيب الناس أو ترهيبهم ، فما يجدون من يتحرك إلا إذا وضعوا لهم الأحاديث في ذلك .

٥ - الوعظ والتذكير ، فقد وضع أحد الوضّاعين - وهو ميسرة بن عبد ربه - حديثاً في فضائل سور القرآن ، ولما سُئل عن ذلك قال : رأيت الناس انصرفوا عن القرآن ، فوضعتها أرغب الناس فيها !

٦ - التكبّب وطلب المال ، فيضع الوضّاع الحديث الغريب الذي لم يسمعه الناس ، ليعطوه من أموالهم .

حدّث جعفر الطيالسي فقال : صلى أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة ، فقام قاصّ فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله إلا الله خلق الله من كلمة منها طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان - وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة - فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إليه وهما يقولان : ما سمعنا بهذا إلا الساعة ! فسكتا حتى فرغ من قصصه

وأخذ قطعة دراهم ثم قعد ينتظر ، فأشار إليه يحيى فجاء ، فقال يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال الكذاب : أحمد وابن معين ! فقال : أنا يحيى وهذا أحمد ! ما سمعنا بهذا قط ، فإن كان ولا بُدَّ من الكذب فعلى غيرنا !! فقال : أنت يحيى بن معين ؟!! قال : نعم . قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق !!! وما علمت إلا الساعة !! كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟!! كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين !! قال : فوضع أحمد كُمّه على وجهه ، وقال : دعه يقوم . فقام كالمستهزئ بهما !!

٧ - العصبية للجنس والقبيلة أو اللغة والوطن ، فقد وُضعت الأحاديث في فضل العرب ، وفي فضل بعض البلدان أو ذمّهم ، ونحو ذلك .

٨ - التقرب للحكام والسلاطين ! بما يوافق أهوائهم ، كما فعل غياث بن إبراهيم النخعي الكذاب ، فقد وضع حديثاً في فضل اللعب بالحمام ! وذلك أنه دخل على المهدي ، وكان المهدي يُحب اللعب بالحمام ، فقبل لغياث هذا حدّث أمير المؤمنين . فجاء بحديث : لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر - ثم زاد فيه - أو جناح !

فأمر له المهدي بصرّة ، فلما قام من عند المهدي قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب ! فلما خرج أمر المهدي بذبح الحمام !

٩ - المصالح الشخصية أو قصد الانتقام من شخص أو فئة مُعيّنة ، فقد جاء ابنُ لسعد بن طريف الإسكافي يكي ، فسأله عن سبب بكاءه ، فقال : ضربني المعلّم . فقال سعد : أما والله لأخزينهم ! ثم وضع حديثاً قال فيه : معلّموا صبيانكم شراركم ...

١٠ - قصد الشهرة ، والتميّز على الأقران ، وهذا ما يفعله الذين يُريدون أن يُذكروا بعلوّ الإسناد ، أو كثرة الشيوخ ونحو ذلك ، فيركّبون بعض الأحاديث ويضعونها لأجل ذلك .

الباب الثاني :

جهود العلماء في مقاومة الوضع

إن من ينظر إلى الكم الكبير من الأحاديث الموضوعة الموثقة في بطون الكتب، وتتداولها ألسن الناس اليوم، قد يتساءل ماذا كان موقف العلماء تجاه هذه الأحاديث الموضوعة ، وقد اختلطت بالأحاديث الصحيحة؟! وهو تسأؤل في محله، فقد عُرِضَ على الإمام عبد الله بن المبارك فقيـل له : هذه الأحاديث الموضوعة؟؟ فقال: تعيش لها الجهابذة [٢٧] {إنا نحن نزلنا الذكر وإنـا له لحافظن} [٢٨] وصدق الله العظيم فقد قـيـض لهذه الأمة رجالاً أمناء مخلصين، قاوموا الوضع والوضـاعين وتبعوهم، وميزوا بين الصحيح والسقيم، وبذلوا جهوداً جبارة في سبيل حفظ الشريعة وأصولها. ونستعرض هنا جزءاً مما بذله علماءنا الإجلاء في مقاومة الوضع والتصدي للوضـاعين:

الفصل الأول: جمع الأحاديث الثابتة

كانت الأحاديث الثابتة مدونة في صدور الرجال ومسطرة في بطون الكتب، وكانت تلك الأحاديث وأولئك الرجال منتشرين في أنحاء العالم الإسلامي، وحين برز قرن الفتنة وظهرت معها طلائع الموضوعات ثم انتشرت وتكاثرت، خاف الغيـورون على السنة من علماء الإسلام، فأسرعوا إلى الصحابة يسمعون عنهم ويستفتونهم، كما سارعوا إلى بطون صحفهم يستظهرونها. وحين زاد تيار الوضع وطغى، وأخذت الزنادقة ومن لف لفهم يكتبون الموضوعات ويدسونها في الصحاح، ظهرت فكرة جمع الحديث في طبقة الإمام

الزهري ومن بعدها كابن جريج وسفيان الثوري ومالك [٢٩]، فدونا الحديث على الهيئة التي وجدوه عليها، ثم بحثوا عن أحوال الرواة، فأسقطوا ما يعرفون أنه موضوع، فقد كانوا - كما قال أبو داود - يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل إلا من دون ألف حديث [٣٠].

ومن أشهر تلك الكتب وأولها موطأ الإمام مالك الذي يقول عنه الشافعي : "ما على أديم الأرض بعد كتاب الله - كتاب أصح من موطأ مالك" [٣١].

ثم جاءت من بعدهم طبقة أخرى انتهجت جمع الأحاديث النبوية على طريقة المسانيد، فجمعت ما يروى عن الصحابي في باب واحد رغم تعدد الموضوع، ونقت الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين - بخلاف الطبقة السابقة - ومن هؤلاء : بقي بن مخلد وإسحاق بن راهوية، وأحمد بن حنبل الذي انتقى مسنده المشهور - كما يقول - من ٧٥٠ ألف حديث [٣٢]، ومن هذا يتبين لنا ما كانوا يكابدونه من جهد في جمع الأحاديث، لكنهم في طريقتهم يمزجون الصحيح بغيره من حسن وضعيف.

فجاء من بعدهم من قام بالعبء العظيم وأفرد الصحيح في كتاب مستقل، وهما الإمامان الجليلان البخاري ومسلم، فقد كان البخاري يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح [٣٣]، وكذلك مسلم، فقد صنف صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة [٣٤]، وبعد أصحاب المسانيد والصحاح تابعت عقود السنن تترى من أبي داود والنسائي والترمذي.. وغيرهم، وبهذا تم جمع الحديث وتطهيره من دنس الوضع ومخلفاته.

الفصل الثاني: الاهتمام بالإسناد

أحسن علماءنا الإجلاء بالخطر الداهم الذي نشأ مع الوضع، فانتدبوا للمحافظة على السنة واجتهدوا في ذلك، فعنوا بالإسناد واهتموا به، وفحصوا أحوال الرواة

بعد أن كانوا يرجحون توثيق من حديثهم، وطلبوا الأسانيد منهم قبل المتون، لأن السند للخبر كالنسب للبشر، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" [٣٥] ولذا نجدهم يتواصلون بالاهتمام بالإسناد والسؤال عنه، يقول هشام بن عروة: "إذا حدثك رجل بحديث، فقل عن من هذا" [٣٦] لأنه إذا أخبر عن الراوي بلسان المقال، فكأنه أخبر عن حال المروي بلسان الحال، وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد حثوا العامة على الاحتياط في حمل الحديث، وألا يأخذوا إلا حديث من يوثق به علماً وديناً، فهذا محمد بن سيرين يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" [٣٧] وقد شاعت كلمته وغيرها في الناس، فأصبح الإسناد أمراً بديهياً حتى عند العامة [٣٨]. ولشدة اهتمام الأمة بالإسناد عده علماءها من فروض الكفاية، قال الحافظ ابن حجر: "ولكون الإسناد يعلم به الموضوع من غيره، كانت معرفته من فروض الكفاية" [٣٩].

الفصل الثالث: مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث

حين ظهر الوضع في الحديث ضاعف العلماء نشاطهم في الرواية والدراسة على حد سواء .

ففي الرواية :

هرعوا إلى من بقي من الصحابة رضي الله عنهم يسألونهم عما يسمعون من الأحاديث وهل قالها النبي صلى الله عليه وسلم أم هي كذب مصنوع، ولحكمة يعلمها الله مد في أعمار بعض الصحابة كعبد الله بن عباس وعائشة وجابر وأنس وعامر بن الطفيل، فساعدوا في حفظ السنة من الضياع، وكذلك فعل الأتباع مع التابعين، يقول الأوزاعي: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما

يعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركنا" [٤٠].

وفي علم الرواية أيضاً: نشأ ما يسمى بـ "الرحلات" فقد قطع الرواة الفيافي والقفار، للتأكد من حديث سمعوه، خشية خطأ الراوي أو تعمدته في الزيادة. فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يسير شهراً إلى الشام ليسأل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه حديثاً سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤١]، وهذا سعيد ابن المسيب يقول: "إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد [٤٢]" ويقول أبو العالية: "كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم" [٤٣].

أما علم الحديث دراية :

فقد وضع العلماء قوانين مخصوصة يتميز بها الغث من السمين، وجعلوها قائمة على أصول أسسوها لينبأ عليها أحكامهم، ومنها:

١ - فن التواريخ، ليعلم منه تاريخ الراوي ووفاته، يقول سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ" [٤٤].

٢ - فن الجرح والتعديل، وبه استطاعوا معرفة أحوال الرواة، فانكشف لهم الوضاعون.

٣ - النظر في كيفية التحمل وأخذ الرواة بعضهم عن بعض، وعن طريقه عرف العلماء اتصال الروايات من انقطاعها.. إلى غير ذلك من القواعد التي وضعوها لدراية الحديث، وبها حققوا أقصى ما في الوسع الإنساني، احتياطاً لدينهم، وأرسوا أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلامها وأرقاها، وقد قلدهم فيها علماء الفنون الأخرى من لغة وأدب وتاريخ ونحوها، فابن قتيبة الذي يعد من أوائل نقاد الأدباء، استمد ذلك من معارفه الحديثية، وكذلك فعل ابن خلدون في تمييزه

الزائف من أخبار المؤرخين، فمقاييسه التي طبقها هي بعينها الأمثلة التي وضعها مسلم لمعرفة المنكر من الحديث [٤٥].

يقول السباعي رحمه الله تعالى: "وقد ألف أحد علماء التاريخ في العصر الحاضر كتاباً في أصول الرواية التاريخية، اعتمد فيها على قواعد مصطلح الحديث، واعترف بأنها أصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات" [٤٦] ويقصد السباعي "أسد رستم" أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً، والكتاب هو "مصطلح التاريخ".

الفصل الرابع: نقد الرواة وتتبع الكذبة

فأما نقد الرواة:

فقد أبلوا فيه بلاء حسناً، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرهم وما ظهر من أمرهم وما بطن، ولم يخشوا أحداً، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم من تجريح الرواة والتشهير بهم ورع ولا حرج، فكان شعبة يقول: "تعالوا حتى نغتاب في الله عز وجل" [٤٧] وسئل أن يكف عن بيان - أحد الكذابين - فقال: "لا يحل الكف عنه، لأن الأمر دين" [٤٨] يقول الإمام النووي: "اعلم أن جرح الرواة جائز بل واجب بالاتفاق، للضرورة الداعية إليه، لصيانة الشريعة المكرمة، وليس هو من الغيبة المحرمة، بل هو من النصيحة لله تعالى ولرسوله والمسلمين" [٤٩] لذا نشط العلماء في هذا الباب حتى أصبح علماء قائماً بذاته وهو "علم الجرح والتعديل" وهو ميزان للرواة يعرف به الثقة من الوضاع، ويختص بسند الحديث، وصرح بعضهم بأنه نصف العلم [٥٠].

وأما تتبع الكذبة:

فهو تطبيق عملي لما نتج عنه نقد الرواة، وهو جهد عظيم يضاف إلى جهود العلماء في مقاومة الوضع، فكما أنهم قاوموهم بسلاح الفكر، كذلك قاوموهم

بسلاح اليد واللسان، فقد كان بعضهم يحارب القصاص والكذابين ويمنعهم من التحديث، فهذا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما حين دخل المسجد فوجد قاصاً يقص، فوجه إلى صاحب الشرطة أن أخرجه فأخرجه [٥١]، وكذلك فعل أبوه عمر من قبله، ومن أشهر من عرف بتصديه لهؤلاء من التابعين : عامر الشعبي، سفيان الثوري، عبد الرحمن بن المهدي وغيرهم. ونتيجة لذلك توارى كثير من الكذابين، وأصبح عند العامة وعي جيد، يميزون به بين المحدثين والكذابين.

الفصل الخامس: التأليف في الوضاعين

جهد آخر يضاف إلى الجهود العظيمة التي بذلها العلماء من أجل حفظ الحديث وتخليصه من الوضع، متمثلاً هذا الجهد في تلك الثروة العلمية الضخمة من كتب الموضوعات والوضاعين، فقد سجلوا العلماء أولئك الوضاعين في الصحف، كي يعرفهم من بعدهم فيجتنب أحاديثهم، واستلوهم من رواة الحديث كما تستل الشعرة من العجين، فطهروا منهم السنة الشريفة تطهيراً.

فوضع كثير من العلماء مؤلفات خصصوها للضعفاء والمتروكين من رواة الحديث، وأدرجوا فيها أسماء الوضاعين وأوصافهم وأقوال العلماء في نقدهم وتجريحهم، وذلك ككتب "الضعفاء" للإمام البخاري والنسائي وأبي حاتم ابن حبان، ثم جاء من بعدهم عبد الله بن عدي الجرجاني، فألف كتابه "الكامل" ذكر فيه كل من تكلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين.

وكذلك أدرجوا الوضاعين في كتب التاريخ التي صنفت في أسماء الرجال وأخبارهم ومنها "تاريخ البخاري" الكبير والأوسط والصغير، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، وتاريخ جرجان للسهمي وتاريخ دمشق لابن عساكر و"المنتظم" لابن الجوزي [٥٢] وبعد هؤلاء

جاء الحافظ الذهبي فوضع كتابه "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" وقد احتوى هذا الكتاب المطبوع في أربعة مجلدات ضخمة على ذكر الكذابين والوضاعين، ثم على المتهمين بالوضع، وقد فات الذهبي جماعة ذيلهم عليه الحافظ العراقي، وقد عقب عليه أيضا الحافظ ابن حجر في كتابه "لسان الميزان".

الفصل السادس: التأليف في الموضوعات

لم يكتف علماءنا الأجلاء بتسجيل أسماء هؤلاء الكذابين في الكتب، بل جمعوا أكاذيبهم ودونوها ليس بقصد أن يقرأها ويطلع عليها الناس من باب الثقافة وزيادة المعلومات، بل لكي يجنبوها وينبها على أضرارها وآفاتهما. من أجل هذا فقد جمع كثير من العلماء ما تناثر في كتب من سبقهم من الموضوعات، فأودعوها أسفارا أشهروها بين الناس، وفيها ما هو خاص بالأحاديث الموضوعية وتبلغ أربعين مؤلفا تقريبا [٥٣]، ومن أهمها الكتب الآتية :

١ - تذكرة الموضوعات : لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، توفي سنة ٥٠٧ هـ ورتبه على حروف المعجم، وفيه يذكر الحديث ومن جرح راويه من الأئمة، طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ. وقد أعيدت طباعته عدة مرات.

٢ - الموضوعات من الأحاديث المرفوعات : ويقال له "الأباطيل" لأبي عبد الله الحسين ابن إبراهيم الجورقاني المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وقد أكثر فيه من الحكم بالوضع بمجرد مخالفته السنة الصريحة. [٥٤]، وقد طبع هذا الكتاب تحت اسم (الأباطيل والمناكير) بتحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي سنة ١٤٠٣ هـ بالمطبعة السلفية في الهند.

٣ - الموضوعات : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي توفي سنة ٥٩٧ هـ وهو أكبر كتب الموضوعات وأشهرها، تناول فيه ما ورد من الأحاديث التي

يعتقد أنها موضوعة في "الكامل" لابن عدي، وكتب الضعفاء لابن حبان والعقيلي والأزدي، ومعاجم الطبراني الثلاثة.

٤ - المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب: للحافظ أبي حفص عمر بن بدر الموصلي المتوفى سنة ٦٢٣، اكتفى فيه بذكر الأبواب التي لم يصح فيها شيء.

٥ - الدرر الملتقط في تنبيه الغلط: للعلامة رضي الدين حسن بن محمد العمري المعروف بـ (الصغاني) المتوفى سنة ٦٥٠.

٦ - موضوعات الصغاني: رضي الدين الحسن بن محمد العمري، جمع فيها بعضاً من الأحاديث الموضوعة وأدرج فيها كثيراً من الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع [٥٥].

٧ - الأحاديث الموضوعة التي يرويها العامة والقصاص: وهي رسالة لعبد السلام بن عبد الله.. ابن تيميه، جد شيخ الإسلام توفي سنة ٦٥٢هـ.

٨ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: للإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١، اختصر فيه كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وحرر فيه تعقباته وانتقاداته عليه، وزاد فيه موضوعات أخرى لم يذكرها ابن الجوزي.

٩ - الذيل على اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام السيوطي، وقد ذكر فيه عدداً آخر من الأحاديث الموضوعة لم يذكرها في الأصل ويسمى أيضاً (الذيل على الموضوعات) وله كتاب في التعقيب على الموضوعات أسماء (النكت البديعات على الموضوعات) ثم اختصره في كتاب آخر سماه (التعقبات على الموضوعات) وعدد الأحاديث التي تعقبه فيها ثلاثمائة ونيف [٥٦].

١٠ - الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة: لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الصالح، صاحب السيرة توفي سنة ٩٤٢ وقد أشار إلى هذا الكتاب في سيرته.

١١ - تزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني المتوفى سنة ٩٦٣هـ، لخص فيه ما في موضوعات ابن الجوزي واللالي للسيوطي.

١٢ - تذكرة الموضوعات : لرئيس محدثي الهند جمال الدين محمد بن طاهر الفتني المتوفى سنة ٩٧٦هـ وله أيضاً "قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء".

١٣ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ويسمى "تذكرة الموضوعات" للشيخ: الملا علي القاري الهروي المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

١٤ - المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : للملا علي القاري، وقد رتبته على حروف الهجاء، وقد بلغت أحاديثه حسب تعداد المحقق ٤١٧ حديثاً [٥٧].

١٥ - الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المتوفى سنة ١٠٣٣هـ وقد نشره الأستاذ الصباغ محققاً في العدد السادس من مجلة "أضواء الشريعة" سنة ١٣٩٥هـ. ثم طبع هذا الكتاب منفرداً بتحقيق الأستاذ الصباغ في بيروت، الدار العربية سنة ١٣٩٥هـ.

١٦ - الكشف الإلهي عن شديد الضعف والواهي: لمحمد بن محمد الحسيني السندروسي المتوفى سنة ١١٧٧هـ جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهيّة والموضوعة.

١٧ - الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات : للشيخ محمد بن أحمد السفاريني المتوفى سنة ١١٨٨هـ، وقد اختصر فيه كتاب "الموضوعات" في مجلد ضخّم [٥٨].

١٨ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للقاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ.

١٩ - الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: للعلامة عبد الحي بن عبد الحلّيم اللكنوي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب بتحقيق الشيخ

محمد السعيد ابن بسيوني زغلول ونشرته دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٥هـ.

٢٠- اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع : للشيخ محمد بن خليل القاوقجي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ. ٢١- تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعية على سيد المرسلين لمحمد البشير ظافر المتوفى سنة ١٣٢٥هـ ذكر فيه الأحاديث الموضوعية المشتهرة على الألسنة.

٢٢- الجدل الحثيث في بيان ما ليس بحديث : للشيخ أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي، وقد طبع هذا الكتاب في طبعته الثانية بقراءة وتصحيح الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد سنة ١٤١٣هـ.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وهي سلسلة مقالات نشرها في مجلة "التمدين الإسلامي" ثم رأى طبعها تباعاً في أجزاء متسلسلة، وكل جزء ١٠٠ حديث، وكل خمسة أجزاء في مجلد [٥٩]. وبالإضافة إلى ما تقدم من الكتب المؤلفة في الموضوعات خاصة، فقد تلقف العلماء رحمهم الله، ما يدور على السنة العامة من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، واختبروها فعرفوا صحيحها من زائفها ونشروا ذلك في مؤلفات بين الناس، من أهمها:

١- التذكرة في الأحاديث المشتهرة: لبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ. وطبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ مصطفى عبد القادر عطا.

٢- الآلي المنشورة في الأحاديث المشهورة، مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع: للحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [٦٠].

٣- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ.

٤- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة : لجلال الدين السيوطي لخصه من "التذكرة" للزرکشي وزاد عليه، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس.

٥- الوسائل السنية من المقاصد السخاوية والجامع والزوائد السيوطية : لعلي بن محمد المنوفي المتوفى سنة ٩٣٩ .

٦- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لعبد الرحمن بن علي بن الديع المتوفى سنة ٩٤٤ لخص فيه "المقاصد" وبين ما هو صحيح وموضوع.

٧- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير: لعبد الوهاب بن أحمد الشعراي المتوفى سنة ٩٧٣ انتخبها مما تقدم من الكتب وكذلك من كتاب "الغماز على اللماز" لجلال الدين السمهودي، وقد طبع هذا الكتاب قديماً بالقاهرة سنة ١٢٧٧هـ.

٨- تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من الأحاديث بين الناس: لمحمد بن أحمد القادري المتوفى سنة ١٠٧٥هـ.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين وصفوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فهذه خاتمة بحثي هذا " جهود العلماء في مقاومة الوضع " ، حيث مهدت للموضوع بباب تمهيدي تحدثت فيه عن تعريف الحديث الموضوع، وعن عبارات العلماء في التعريف به، وعن مصادر الحديث الموضوع، وعن عقوبة الوضع في الحديث، وعن توبة الوضعيين، وعن حكم رواية الحديث الموضوع، وعن أسباب الوضع في الحديث النبوي الشريف، وعن حكم العمل بالحديث الموضوع، ثم دخلت إلى الباب الثاني والذي يعتبر هو موضوعي الرئيس من هذا البحث، وقد تحدثت فيه عن جهود العلماء في مقاومة الوضع، وقد قسمت هذا الباب إلى خمسة فصول، الفصل الأول يتحدث عن جمع الأحاديث الثابتة ، والفصل الثاني يتحدث عن الاهتمام بالإسناد ، والفصل الثالث يتحدث عن مضاعفة النشاط العلمي في قواعد الحديث، والفصل الرابع يتحدث عن نقد الرواة وتتبع الكذبة، والفصل الخامس يتحدث عن التأليف في الوضعيين، والفصل السادس يتحدث عن التأليف في الموضوعات، والآن أختتم بحثي هذا الذي حاولت أن أظهر مدى العمل الجليل والجهد الكبير الذي أولاه علماءنا الأجلاء في مقاومة الوضع في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أردت بيانه في هذا المقام فإن أصبت فمن توفيق الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء
وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس البحث

- [١] سورة الحجر آية ٩.
- [٢] سورة النحل آية ٤٤.
- [٣] القاموس المحيط، مادة (وضع) ٦٩٤، ٦٩٥.
- [٤] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٨٩.
- [٥] توضيح الأفكار : للصنعاني (الهاشية) ج ٢ ص ٦٨.
- [٦] الفوائد الموضوعة : للكرمي ص ١٠١، الأسرار المرفوعة : للقاري ص ١٧٩، المصنوع ص ١٣٨.
- [٧] أورده ابن الجوزي في الموضوعات ج ٢ ص ١٠٩ - ١١١.
- [٨] توضيح الأفكار : للصنعاني ج ٢ ص ٨٨-٨٩.
- [٩] سورة النجم الآيتان ٣، ٤ .
- [١٠] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٠.
- [١١] هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.
- [١٢] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٢٤٢-٢٤٣.
- [١٣] سورة الفرقان آية ٧.
- [١٤] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٩.
- [١٥] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٧٠.
- [١٦] سورة الجبرائيل آية ٦.
- [١٧] سورة البقرة آية ٢٨٢.
- [١٨] صحيح مسلم شرح النووي ج ١ ص ٦٠-٦١.
- [١٩] رواه مسلم في صحيحه في المقدمة باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين (٩/١).
- [٢٠] توضيح الأفكار : (الهاشية) ج ٢ ص ٧٣ ، المصباح : للأندجاني ص ٩٦.
- [٢١] رواه مسلم في صحيحه في المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١٠/١).
- [٢٢] فتح المغيبي.. للسخاوي ١/١٧٥.
- [٢٣] الفتاوى الحديثية : لابن حجر ص ٣٢.
- [٢٤] الأباطيل والمناكير ج ١ ص ١٩-٢٠.
- [٢٥] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للدكتور علي الصلابي.
- [٢٦] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للدكتور الصلابي.
- [٢٧] تدريب الراوي : للسيوطي ص ١٨٤.
- [٢٨] سورة الحجر آية ٩.
- [٢٩] تقييد العلم : للخطيب البغدادي ص ١٠٥ وما بعدها.

- [٣٠] حجة الله البالغة ج١ ص ١٤٨ عن رسالة أبي داود لأهل مكة.
- [٣١] سير أعلام النبلاء ج٨ ص ١١١.
- [٣٢] السير ج ١١ ص ٣٣٩.
- [٣٣] تذكرة الحفاظ: للذهبي ج ٢ ص ٥٥٦.
- [٣٤] تذكرة الحفاظ : للذهبي ج ٢ ص ٥٨٩ .
- [٣٥] صحيح مسلم (المقدمة) ج١ ص ١٥.
- [٣٦] الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٤.
- [٣٧] صحيح مسلم (المقدمة) ج١ ص ١٤.
- [٣٨] أصول الحديث : للخطيب ص ٤٢٨.
- [٣٩] قواعد التحديث : للهاشمي ص ١٧٤.
- [٤٠] الموضوعات : لابن الجوزي ج١ ص ١٠٣.
- [٤١] علوم الحديث : لابن الصلاح ص ٨.
- [٤٢] الرحلة في طلب الحديث ص ١٢٧.
- [٤٣] الرحلة في طلب الحديث ص ٩٣.
- [٤٤] الكفاية في علم الرواية ص ١٤٧.
- [٤٥] مجلة الأزهر : مجلد ٣٨ سنة ١٣٨٦ ص ٤٥٤.
- [٤٦] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٣٦.
- [٤٧] الموضوعات : المقدمة ج١ ص ٥٠.
- [٤٨] الموضوعات : المقدمة ج١ ص ٥٠.
- [٤٩] شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص ٦٠.
- [٥٠] مقدمة تحفة الأحوذى : للمباركفوري ص ١٥٢.
- [٥١] تحذير الخواص : للسيوطي ص ٣١٤.
- [٥٢] توضيح الأفكار : للصنعاني ج١ ص ٤٦، ٤٧.
- [٥٣] أصول الحديث : للخطيب ص ٤٣٥.
- [٥٤] الرسالة المستطرفة : للكتاني ص ١٤٩.
- [٥٥] الرسالة المستطرفة ص ١٥٢.
- [٥٦] الرسالة المستطرفة ص ١٥٠.
- [٥٧] المصنوع ص ١٧٧..
- [٥٨] الرسالة المستطرفة ص ١٥٠.
- [٥٩] سلسلة الأحاديث الضعيفة.. المقدمة ص ٤.
- [٦٠] السنة قبل التدوين ص ٢٩٠.